(لا أُذيلُ الآمالَ بعْدَكَ إنّي ... بَعْدَها بالآمالِ جدّ ُ بخيلِ) .

(كَمْ لَهَا موقفاً بِبَابِ صَديقٍ ... رَجَعتْ مِن نَداهُ بالتّ َعطيلِ) .

(لَمْ يَضِرْها والحَمْدُ للّهِ شَيءٌ ... وانثَنتْ نحْوَ عَزْفِ نَفْسٍ ذَهُولِ) .

قال الجاحظُ : فتفقّدِ النصفَ الأخيرَ من هذا البيت فإِنك ستجدُ بعضَ ألفاظه يتبرّ َأ من بعضٍ . ويزعمُ أنّ َ الكلامَ في ذلك على طبقاتٍ فمنه المُتناهي في الثّ َقْلِ المفرطُ فيه كالذي مَضى . ومنه ما هو أخفّ ُ منه كقولِ أبي تمام - الطويل - : .

(كَرِيمٌ مَتَى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والوَرى ... جَميعاً ومَهْما لُمْتُه لمتهُ وَحْدِي) .

ومنه ما يكونُ فيه بعضُ الكُلفة على اللّسان إلا أنه لا يبلغُ أن يعابَ به صاحِبُه ويشهَرَ أمرهُ في ذلك ويُحفظ عليه . ويَزْعُمُ أن الكَلام إذا سَلِم من ذلك وَصفا من شَوْبِهِ كان الفصيحَ المَشادَ به والمشارَ إليه . وأنّ َ الصفاءَ أيضاً يكونُ على مراتبَ يعلو بعضُها بعضاً وأنّ َ له غايةً إذا انتهى إليها كانَ الإِعجاز .

والذي يُبطل هذه الشّ ُبهةَ - إن ذهبَ إليها ذاهبٌ - أنّا إنْ قَصرنا صفةَ الفصاحةِ على كونِ اللّفظِ كذلك وجعلناهُ المرادَ بها لَزِمَنا أن نُخرجَ الفصاحةَ من حيّ َز البلاغةِ ومن أن تكونَ